شمس الدين الجويني والمغول الإيلخانيين من المنظور الأستشراقي

(Shams al - Din al - Juwayni and the IlKhanate Mongols from the Orientalist Perspective)

م.د. ياسمين عباس مطلك العزاوي

الجامعة العراقية/ كلية العلوم الإسلامية

ya922004@gmail.com

yasmin.a.mutlaq@aliraqia.edu.iq

D. R. Yasmin Abbas Mutlaq al - Azzawi

University of Iraqia

College of Islamic Sciences

ya922004@gmail com

yasmin.a.mutlaq@aliraqia.edu.iq

Abstract:

In this article , we have examined the personality of the author of the Diwan, Shams al - Din al - Juwayni , from an Orientalist perspective, with a critical analysis of the objectivity of those studies that were derived from the accounts of Muslim historians. This is because al –Juwayni marked an important turning point in the new administration , as he reorganized its administrative and financial affairs after a series of devastations that befell the country at the hands of the Mongols , who were sddking to establish their Ilkhanate in Iran and Iraq in cooperation with loyal Muslims , headed by khwaja Shams al - Din al - Juwayni, whom some Orientalists described as opportunistic and subservient to the Mongols , while others saw him as administrative reformer who sought to establish Islamic administration under Mongol rule.

Keywords: Juwayni, Hulagu, IlKhanids, Orientalists , Islamic administration.

المستخلص

تناولنا في هذه المقالة مراجعة البحوث التي درست شخصية صاحب الديوان شمس الدين الجويني لكن من المنظور الاستشراقي مع تحليل نقدي لمدى موضوعية تلك الدراسات التي استمدت من روايات المؤرخين المسلمين؛ لكون الجويني قد شكل نقطة تحول مهمة في الادارة الجديدة فأعاد تنظيم شؤونها الادارية والمالية بعد سلسلة من الخراب الذي اصاب البلاد على يد المغول الذين نجحوا في تأسيس ايلخانيتهم في ايران والعراق بالتعاون مع المخلصين من المسلمين، وكان على رأسهم خواجة شمس الدين الجويني الذي وصفه بعض المستشرقين بالانتهازية والخضوع للمغول في حين رآه اخرين مصلحاً ادارياً سعى الى توطين الادارة الاسلامية في ظل الحكم المغولي.

الكلمات المفتاحية: الجويني، هولاكو، الايلخانيين، المستشرقين، الادارة الاسلامية.

المقدمة

أن الغزو المغولي للعالم الاسلامي في القرن التاسع الهجري/ الثالث عشر الميلادي لم يكن غزواً عسكرياً بقدر ما كان سياسياً، ادى إلى قيام دولة مغولية سميت بالايلخانية التي اسسها هولاكو في ايران والعراق، لذلك تطلبت الحاجة الادارية الى الاستعانة بأبناء البلاد ذات الكفاءات والمخلصين لهولاكو ولاسيما شمس الدين الجويني الذي تولى ادارة شؤون الديوان المالي الذي عد من ارفع المناصب الادارية في ايلخانية هولاكو؛ وبذلك امتزجت النظم الادارية الاسلامية والفارسية والمغولية في الدولة الجديدة.

اهتم المؤرخين والمستشرقين منذ القرن التاسع عشر الميلادي بدراسة دور اسرة الجويني في ادارة الايلخانية، ولاسيما شخصية شمس الدين الذي صورته دراساتهم بالنموذج القيادي من بين رجالات الدولة المسلمين الذين تعاملوا مع الغزو المغولي بالحذر والسياسة تارة وبالولاء والاخلاص تارة اخرى في محاولة للحفاظ على التراث الاسلامي، لذلك تباينت اراء المستشرقين في تفنيد شخصيته وغالباً ما نجدهم متفقين على أنه الشخص الذي استطاع تأمين الاستقرار الاداري وتخفيف الاحتكاكات بين المغول والسكان المحليين.

اشكالية المقالة:

تكمن الاشكالية في كيفية تصوير المستشرقين لشخصية ودور خواجة شمس الدين الجويني في الدولة الايلخانية هل يا ترى أنهم ركزوا على دوره الاصلاحي؟ أو ربما صوروا لنا خضوع اسرته للحكم المغولي؟

أهمية المقالة:

تكشف رؤية مؤرخي الغرب الاوربي إلى الشخصيات الادارية الاسلامية ذات الكفاءة المرموقة ودورها في التاريخ المغولي الايلخاني.

منهجية المقالة:

اتبعنا في هذه المقالة المنهج التأريخي التحليلي الوصفي لكتابات المؤرخين المسلمين والمستشرقين حول شخصية شمس الدين الجويني.

هدف المقالة:

تهدف المقالة الى تحليل ونقد شخصية شمس الدين الجويني في دراسات المستشرقين التي استمدت بالأساس من روايات المؤرخين المسلمين، كما تهدف الى اعادة الدراسات السابقة التي بحثت دور شمس الدين الجويني في الدولة الايلخانية كمحاولة لتقديم قراءة متوازنة لشخصه، ومكانته في التاريخ الاسلامي كما رآه المستشرقون والباحثون المحدثون.

أولاً/ نبذة عن سيرته التأريخية (٦١٣ - ٦٨٣هـ/ ١٢١٦ - ١٢٨٤م)

أسمه: ابو عبدالله شمس الدين بن محمد بن محمد بن الحسن الجويني[١] وتنتسب اسرته إلى مدينة جوين في نيسابور أحدى نواحي خراسان[٢]، ولها صلة بإمام الحرمين الجويني (ت٤٧٨هـ)[٣] كبير شافعية خراسان في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وترجع أصول هذه الأسرة إلى النسب العربي والتي تولت مناصب إدارية مرموقة لدى الخوارزميين والمغول الايلخانيين[٤]، في حين هنالك رأي يؤكد على أنه من اصول فارسية ترجع إلى الفضل بن الربيع الفارسي حاجب دولة بني العباس[٥]، لذلك عد شمس الدين من الشخصيات المعروفة في خراسان آنذاك[٦].

مما لاريب فيه، بأن خواجة شمس الدين الجويني قد نشأ في اسرة علمية ذات كفاءة ادارية كبيرة، فوالده من الكّتاب المعروفين وكذلك أخوه علاء عطا ملك الجويني الذي كان مؤرخاً مشهوراً فقد ترك لنا كتاباً سمي ب تاريخ جهانكشاي أي (تاريخ فاتح العالم) الذي عد من أهم

(١) الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط(دار العلم للملايين، بيروت)، ج٥، ص٤١.

(٢) ياقوت الحموي، شهاب الدين الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، ط(القاهرة، ١٣٢٣هـ/١٩٠٦م)، ج٥، ص١٨٧.

(٣) عبد الغافر الفارس، اسماعيل (ت٥٢٨هـ)، السياق، نشر صورته بالاوفسيت فراي ريتشارد، ١٩٦٥م، ص٩٣.

(٤) الهمذاني، رشيد الدين فضل الله (ت٧١٨هـ/١٣١٦م)، جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق واخرون، ط(دار احياء الكتب العربية)، ج٢، ص٢٠٢.

(٥) تالبوت رايس، تامارا، سلجوقيان در آسياي كهن، رقية بهزادى بزوهشكاه علوم انسانى ومطالعات فرهنكى، ط (طهران، ١٣٨٩ش)، ص٩٨؛ شهسواري، زينب والدكتور محمد حسن فؤاد، دور الوزراء الايرانيين في مد العلم وتواصل الحضارات وانعكاسه في الشعر الفارسي «دور الخواجة شمس الدين محمد جويني في انشاء دار الشفاء انموذجا»، بحث منشور في: مجلة كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، آذار، ٢٠٢٥، ص٤٦٣.

(٦) الهمذاني، رشيد الدين فضل الله (ت٧١٨هـ/١٣١٦م)، جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق واخرون، ط(دار احياء الكتب العربية)، ج٢، ص٢٠٢.

الكتب التي آرخت عن المغول[١].

ثانياً/ صفاته وثقافته: - اشتهر خواجة شمس الدين بصفات عديدة منها: الحكمة والتواضع والكفاءة والكرم والعدل ومن ثم الثراء، فقد امتلك ثقافة واسعة واتقن اللغتين العربية والاعجمية، وكان محباً للعلم والشعر وملماً بتفاصيل الحكم وشؤون الإدارة[٢].

تركت صفاته وثقافته أثراً في نفوس العلماء والشعراء تبعاً لمحبته ودعمه لهم، فقد خلده أفصح شعراء الفرس وهو سعدي الشيرازي ورثاه في قصائده، وقام عدد من العلماء والشعراء في ذلك العصر ومنهم نصير الدين الطوسي، وصفي الدين، وهمام الدين التبريزي، ومن ثم بدر الدين الجاجري، بوضع المؤلفات والقصائد بأسمه وبأسم افراد أسرة الجويني[٣].

مما لاريب فيه، أن ثقافته الجمه قد تركت اثراً كبيراً في صقل شخصيته التي قربت العلماء والشعراء إليه، ونالوا عطفه واحترامه حتى في حقبة الغزو المغولي لإيران والذي نتج عنه قيام الدولة الايلخانية.

ثالثاً/ مناصبه: شغل خواجة شمس الدين الجويني مناصب ادارية مرموقة، فقد كان المستشار والمخلص لهولاكو عند وصول المغول الى خراسان، فأستحق ثقة هولاكو به حتى ترك زمام الامور الادارية كلها بيده، ومنحه صلاحيات واسعة لكن هذه الصلاحيات كانت ضمن الحدود الادارية الوظيفية ولا تشمل الاشراف على شؤون الامراء المغول او قادة العسكر، وأخيراً اختاره هولاكو رئيساً لمنصب «الديوان»[٤] واطلق عليه لقب صاحب الديوان في الدولة الايلخانية في سنة ٦٦١هـ / ١٢٦٢م[٥].

(١) بارتولد، ف. ف، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، ط (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨١م)، ص ٣٤٥.

(٢) القزويني، ابو عبد الله زكريا (ت٦٨٢هـ /١٢٨٣م)، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط (بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٠م)، ص٤٣؛ الطائي، شمس الدين الجويني، منصة اريد.

(٣) أقبال، عباس، تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، تر: عبد الوهاب علوب، مر: حسن التابوذة، ط (ابو ظبي، المجمع الثقافي، ٢٠٠٠م)، ص٢٠٦.

(٤) كلمة ذات اصل فارسي ويقصد به المكان الذي تحفظ فيه سجلات الايرادات والنفقات المالية في الدولة المغولية الايلخانية، وأخيراً أطلقت على جميع فروع الادارة الاسلامية للأيلخانية. ينظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، ج٢، ص٤٣٧.

(٥) الجويني، رشيد الدين، جامع التواريخ، ج٢، ص٤٣٧.

يبدو ان هولاكو خان منع شمس الدين الجويني من الاشراف على الامراء والقادة المغول باعتبارهم الطبقة العليا في الايلخانية وهو مكلف بالأشراف عليهم مباشرة، كما انه تخوف من نجاح شمس الدين الجويني تبعاً لقدرته الادارية في صعود نجمه على حساب القادة المغول من جهة وحتى لا يمس استقلالهم من جهة اخرى.

يرى الباحثان زينب شهسواري ود. محمد حسن فؤاديان بأن هولاكو ادرك انه لا يستطيع حكم هذه الارض بمفرده، وينبغي ان يستخدم «الايرانيين انفسهم لهذا الغرض لذلك استجابت اسرة الجويني»(١).

يبدو ان الجويني اراد ان يحافظ على نفوذ الادارة الاسلامية في ظل الدولة الايلخانية الجديدة على اعتبار المغول يجهلون اداريات البلاد، لذلك رحب الطرفين (هولاكو – الجويني) في الاستعانة بابناء البلاد المفتوحة من الاداريين ذي الكفاءة.

ظل يشغل هذا المنصب الى أيام عهد اباقا خان بن هولاكو (٦٦٣ –٦٨٣هـ/ ١٢٨٢ – ١٢٨٤م) حتى بداية حكم أرغون خان(٢)، واطلق يده في شؤون الديوان المالي وضبطه قرابة واحد وعشرين سنة (٣).

مما لاريب فيه، أن أول مظهر من مظاهر التنظيم الاداري الذي رتبه هولاكو لدولته هو منصب صاحب الديوان الذي أقتبس في تشكيله من الادارة الاسلامية(٤)، ويمثل هذا المنصب نموذجاً على استعانة هولاكو بأبناء البلاد المحتلة لتنظيم شؤون الدولة الناشئة(٥) ؛ ولأنه بعد أن سيطر على ايران والعراق اراد ان يدير الولايات التابعة له ادارة مدنية بعد الفوضى التي احدثها الغزو المغولي، لذلك استعان بالمسلمين المخلصين له ومن ابرزهم شمس الدين الجويني الذي تولى مهام الديوان المالي.

(١) دور الوزراء الايرانيين، ص٤٦٣.

(٢) بارتولد، جويني، دائرة المعارف الاسلامية، ط(بيروت، دار الشعب، ١٩٣٣م)، ج٧، ص١٨٣.

(٣) بارتولد، دائرة المعارف الاسلامية، مج٧، ص١٠؛

Jackson, Peter, The Mongols and the Islamic world: from Conquest to conversion, (London , 2017), p123.

(٤) جب، سير هاملتون، دراسات في حضارة الاسلام، ط(بيروت، ١٩٦٤م)، ص٢٥٣ ؛

CI. Huart , Diwan , EI 1 , vol2, p979.

(٥) النسوي، شهاب الدين احمد (ت القرن ١٣م)، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ط (القاهرة ١٩٥٣م)، ص٨٣.

أطلق المغول على من يتولى منصب صاحب الديوان (صاحب ديوان الممالك الايلخاني) الذي كانت أولى مهامه هو تنظيم الموارد المالية للدولة الجديدة، وأقام نظاماً ضريبياً يضمن الصرف على الإدارة الحكومية وفقاً لإطارات ضريبية مغولية جديدة، أتى بها الغزو المغولي للبلاد(١).

مما لاريب فيه، ان شمس الدين الجويني اراد ان يحافظ على الشؤون الادارية والمالية من ايدي المغول خوفاً من الفوضى والصراعات التي سوف تحدث بين المدنيين والعسكريين من المغول، لكونهم اعتادوا على استخدام القوة بحق المدنيين، كما انه اراد ان يحول المغول من الطابع البدوي التقليدي الى الطابع المدني.

وظف شمس الدين الجويني صلاحياته الأولية الممنوحة له فشرع في ارساء قواعد الادارة الايلخانية التي تطورت وتوسعت أجهزتها كثيراً في عهده حتى أن معظم تنظيماتها ارتبطت باسمه، ليس في عهد هولاكو فحسب وانما في عهد اثنين من خلفائه وهما أباقا خان بن هولاكو وأحمد تكودار بن هولاكو، فضلاً عن استعانته بأصحاب القدرة الادارية من الكّتاب والعمال وأغلبهم ممن خدم في الدولة الخوارزمية ؛ونتيجة الاجراءات التي أدخلها شمس الدين على الجهاز الاداري فقد تطور منصبه تطوراً كبيراً، فبعد ان كان عمله مقتصراً على الأمور المالية اصبح مسؤولاً عن إدارة دواوين البلاد بأكملها بما فيها الدواوين المحلية في الولايات، وسلطته تأتي بعد سلطة هولاكو خان مباشرة وله صلاحيات جديدة تمتع بها، منها التصرف المطلق في الولاية وله حق عزل اي شخص، ومنح العطايا والأشراف على دخل البلاد وخراجها وتنظيم الضرائب، فيرجع إليه اصحاب الدواوين الأخرى كديوان الانشاء ولا يشاور السلطان الا في الامور المهمة(٢).

ان من المناصب الاخرى التي آلت الى شمس الدين الجويني هي تعيين قاضي القضاة والصدور والنظار، وله عليهم وعلى الرعية حق الحياة والموت(٣)، وكذلك تولى واجبات امير الحاج

(١) المصدر نفسه، ص٢٤٣.

(٢) القلقشندي، ابو العباس احمد، (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ط (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م)، ج٢، ص٤٢٧؛

Jackson, The Mongols , p123.

(٣) ابن الفوطي، عبد الرزاق بن احمد الشيباني البغدادي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٤م)، الحوادث الجامعة، تح: مصطفى جواد، ط (بغداد، ١٣٥١هـ)، ص٣٤٣؛ خصباك، جعفر حسين، العراق في عهد المغول الايلخانيين ٦٥٦ - ٧٣٦هـ/١٢٥٨

«التي عدت وظيفة عباسية تقوم على النظر في تهيئة الحجيج سنوياً للحج بمفاوضة الاعراب القائمين على الطريق، واخذ الرهائن منهم واتخاذ ما يلزم لإيصال الحجاج سالمين الى مكة واعادتهم منها»(١).

يبدو أن السلطة المطلقة التي حظي فيها شمس الدين الجويني جعلته لم يشاور هولاكو خان الا في الامور المهمة، مثلاً الصرف على تجهيز الحملات العسكرية لاستكمال الفتوحات المغولية، فقد كانت الشؤون الادارية والمالية كافة بيده حتى استحوذ مع عائلته على الكثير من المناصب الادارية.

مما لاريب فيه، تمكن شمس الدين الجويني من اعادة استقرار الحياة الاقتصادية إلى البلاد بعد سلسلة من الخراب الذي احدثه الغزو المغولي من خلال ادخال النظم الادارية الفارسية والاسلامية في الاجهزة الادارية المغولية، وحاول التوفيق بين المصالح الاسلامية وسياسة الحكم الجديد الذي عرف بالدولة الايلخانية.

وترتب على اجراءات شمس الدين زيادة الموارد النقدية للديوان، ومن أجل ذلك شبه عمله في رئاسة الادارة المغولية بعمل الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي (ت٤٨٥هـ - ١٠٩٢م)(٢)، غير انه في المقابل استطاع ان يجمع من عائدات وفوائد منصبه ثروة طائلة عيناً ونقداً مما يستدل انه كان لشمس الدين مرتبات عالية؛ لأن حسابات الديوان كانت تتم «بالتومان»(٣) الذي بلغ التومان الواحد في عهده عشرة الاف دينار(٤)، الا أنه يبدو ان قيمته عددية على الأرجح، لم يجد نقد بقيمته وكان الشائع ان يقيم بالذهب، في حين ينقل رشيد الدين عن شمس الدين قوله اثناء دفاعه عن نفسه قبل مقتله في سنة ٦٨٣هـ - ١٢٨٤م: - «أن دخله لم يكن يتجاوز عشر

- ١٣٣٥م، الفتح، الادارة، الاحوال الاقتصادية، الاحوال الاجتماعية، ط (بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٨م)، ص٦٨.

(١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٣٥٨؛ خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص٦٨.

(٢) اقبال، تاريخ المغول، ص٣١١ ؛

J. M. Smith and others , Gold Money in Mongol of Iran , Journal of the Economic and Social History of the Orient , (London , 1968), vol11, p120.

(٣) عملة رسمية مغولية والتومان الواحد يساوي عشرة الاف. ينظر: بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية، تر: نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، ط٦ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٤م)، ص٣٩٢.

(٤) تالبوت، سلجوقيان در آسياي كهن، ص٩٨.

التومان»[١]، فإن المستوفي القزويني، يلمح من طرف خفي الى ثروة شمس الدين بقوله: - «انه استطاع بحسن تدبيره ان يحصل لنفسه على ضياع شاسعة وثروة عظيمة ويقال ان دخله اليومي يبلغ تومانا»[٢]، وهذا النص يشير الى الصلاحيات الواسعة الممنوحة الى صاحب الديوان.

كانت الوزارة في ولاية أباقا خان (٦٦٣ – ٦٨٠هـ) من نصيب شمس الدين محمد الجويني كما كانت في الفترة الاخيرة من حكم هولاكو، فانشغل هو في «تبريز»[٣] وابنه بهاء الدين محمد في «اصفهان»[٤]، وهيأ شمس الدين الجويني وأخوه عطا ملك اسباب ازدهار دولة اباقا خان، فعمل صاحب الديوان على جمع العوائد من كل الممالك وإدارة شؤون الحكم والسياسة ولم يتفوق عليه سوى السلطان، ونتيجة لهذه الكفاءة ازدهرت ايران في عصره، وتحققت لصاحب الديوان من جراء ذلك شهرة وجاه وثروة كبيرة[٥]، كما أن تبريز هي الأخرى شهدت حركة ازدهار كبيرة في ظل وزارة صاحب الديوان شمس الدين، وخاصة ان هذه المدينة لم تتعرض لكثير من تخريب المغول، ولم تعانِ ما عانته سائر مدن ايران وما وراء النهر من غارات[٦].

رابعاً/ محنته السياسية ونهايته: قتل خواجة شمس الدين الجويني بداية حكم السلطان ارغون خان في شعبان سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م[٧] بمنطقة جرنداب في تبريز[٨] على أثر الاتهامات التي الصقت به من قبل خصومه ومنها الفساد المالي وامتلاكه الكثير من الممتلكات جراء منصبه، كما أنه أتهم بالوقوف وراء تسمم بعض خصومه السياسيين[٩] ويرى الصياد بأن بعض المؤرخين

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، ج٢، ص٢١٤.
(٢) المستوفي قزويني، ابي بكر بن حمد بن نصر، نزهة القلوب، ط(تهران، خيابان جمهورى، ١٣٤٢هـ)، ج٣، ص٨٣.
(٣) اشهر مدن اذربيجان سميت باصبهان تقع في وسطها انهار جارية وبساتين محيطة بها، طولها ثلاث وسبعون درجة وسدس وعرضها سبع وثلاثون درجة ونصف درجة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٣.
(٤) مدينة عظيمة مشهورة وتعد من نواحي الجبال في ايران طولها ست وثمانون درجة وعرضها ست وثلاثون درجة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٦.
(٥) اقبال، تاريخ المغول، ص٤٣٢.
(٦) حسن، ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ط(القاهرة، ١٩٦٤م)، ج٤، ص٩٤.
(٧) بارتولد، جويني، دائرة المعارف الاسلامية، مادة الجويني، تر: احمد الشنتناوي واخرون، ط (بيروت، دار الشعب، ١٩٣٣م)، ج٧، ص١٨٣.
(٨) الطائي، سعاد هادي، شمس الدين محمد الجويني دراسة في دوره السياسي والاداري، بحث منشور في منصة أريد، ٢٠٢٠م، Portal. arid. my.
(٩) موسوعة ويكيبيديا الحرة.

ارجعوا مقتله إلى أنه كان يقف بجانب انصار السلطان الراحل أحمد تكودار لذلك اسرع السلطان ارغون في التنكيل ب ال الجويني[١]، وبالتالي أقدم الوزير الجديد سعد الدولة اليهودي بتحريض السلطان أرغون على قتل شمس الدين الجويني ومصادرة امواله وممتلكاته ومن ثم تعقب اولاده واحداً بعد الاخر[٢].

تبين لنا من خلال مما سبق، بأن الصلاحيات المطلقة التي خول بها شمس الدين الجويني استفزت خصومه وخاصة بعد امتلاكه الكثير من الاموال والممتلكات، لذلك بدأت تحاك المؤامرات ضده وضد اسرته حتى راح ضحيتها بعد سلسلة من الاصلاحات الادارية والمالية، فله الدور الرائد في تنظيم ايلخانية هولاكو آنذاك.

خامساً/ صورته في كتابات المستشرقين: قبل التطرق الى دراسات المستشرقين لتفنيد شخصية الوزير شمس الدين الجويني، لابد من الاشارة الى ما ذكرته لنا الباحثة الايرانية تامارا تالبوت رايس التي وصفته برئيس الوزراء في حكومة هولاكو قائلة «انخرط شمس الدين الجويني مع اخاه علاء عطا ملك الجويني في احياء ثقافة ودين الاسلام الذي كان في تراجع خلال الغزو المغولي»[٣]، وكذلك وصفه الدكتور جعفر خصباك بأنه «رئيس وزراء الامبراطورية الايلخانية»[٤]

كما كتب الباحثان الايرانيين زينب شهسواري والدكتور محمد حسن فؤاديان بحثاً علمياً تناول الانجاز العلمي الذي تركه لنا شمس الدين الجويني في ايران، ومجدوا شخصه والحضارة الفارسية التي كان لها دوراً كبيراً بالمحافظة على الاسلام والمعيب على بحثهما بروز الطابع الطائفي، وعلى كل حال انهما اكدوا بأن شمس الدين الجويني «كان يحارب المغول علمياً وتمكن من تأسيس دار الشفاء، كما انه حافظ على التراث العلمي الاسلامي من الخراب المغولي. . . وان الشعراء الايرانيين ركزوا بنحو كبير على دوره في تأسيس خطاب المقاومة العلمية

(١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٤٣٧ - ٤٣٨؛ خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص٨٤؛ فؤاد عبد المعطي، مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني، ط١ (القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧م)، ص٦١.

(٢) خواندمير، غياث الدين (ت ٩٤٢هـ/١٥٣٢م)، دستور الوزراء، تر: حربي امين سليمان، ط (القاهرة، دار الكتب، ١٩٨٠م)، ص٣٥٨.

(٣) سلجوقيان در آسياي، ص٩٨.

(٤) العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص٦٧.

والثقافية آنذاك»[١].

تمتع شمس الدين الجويني صاحب الديوان المالي في الدولة الايلخانية بصلاحيات واسعة مما توجهت إليه انظار المستشرقين الكلاسيكيين، وكان في طليعتهم المستشرق الروسي بارتولد الذي وصفه بقوله «من الشخصيات البارزة في الادارة الايلخانية. . . لعب دوراً بارزاً في اعادة بناء ايران بعد الدمار الذي احدثه المغول، وشارك في مشاريع عمرانية كبناء الجسور والسدود واشرف على ترميم المساجد ودعم فتح طرق الحج»[٢].

على كل حال، لم يتعرض المغول للعلماء بالتنكيل بل على العكس تماماً كان لهم اهتماماً كبيراً بالعلم والعلماء فلولا موافقتهم ولاسيما اباقا خان على انشاء دار الشفاء لم يكن بقدرته على تأسيسه، كما ان الايلخانيين في هذه الحقبة الزمنية قد اختلطوا بالمجتمع الاسلامي بل اعتنقوا الدين وقدموا الرعاية للعلماء ورجال الدين، وربما انهم قصدوا بأن شمس الدين الجويني عندما وقف الى جانب هولاكو اثناء غزوه لإيران ورحب به بهدف المحافظة على التراث الاسلامي من الخراب.

بينما المستشرق الروسي جورج فرنادسكي تطرق الى تعيين الجويني قائلاً «تعيينه نقطة تحول في تأسيس ادارة ايلخانية اكثر استقراراً»[٣]، وذكره في موضوع ثاني بأنه «طور الادارة المغولية الايلخانية»[٤].

أما المستشرق الانكليزي هوارث المتخصص في التاريخ المغولي، فقد ركز على اسرة الجويني وليس فقط على شخصه فقد ذكر تاريخ الاسرة النبيل قائلاً «لأسرة الجويني اهمية في الادارة المغولية وخاصة بالنسبة للخزانة والمالية، وان وجودهم (يقصد اسرة الجويني) لا غنى عنهم في الخدمة المدنية وعملوا تحت خدمة هولاكو وخاصة الجويني الذي لم يكن مسؤول مالي مهم وانما وزير»[٥].

---

(١) دور الوزراء الايرانيين، ص٤٦٢ - ٤٦٤ - ٤٧٢.

(٢) تركستان، ص٣٤٥.

(3) The Mongols and Russia, (London, Oxford University Press , 1953), p161.

(4) The Rise of Chinggis khan and the united Empire 1206 - 1260 , (Cambridge , University Press, 2024), p199.

(5) History of the Mongols from 9th to the 19th century , (London , Longmans green and Co , 1880) , III, p219.

يرى المستشرق إستر رافالدي بأن الجويني «لعب دوراً سياسياً وادارياً في توازن القوى ضمن ايلخانية هولاكو، بما في ذلك علاقته بالسكان المحليين»(١)، ثم ناقض نفسه في موضوع اخر قائلاً «كان في موقع هش احياناً، فقد اعتمد على دعم السلاطين الايلخانيين وانصاره في البلاد، وتعرض للمضايقات من منافسيه الذين يرغبون في تقليص نفوذه»(٢).

بينما نجده يعجب بقدرة خواجة شمس الدين الجويني على ادارة الديوان المالي واستمرارية حكم المغول خلال حقبة الاضطراب، ودور الجويني في عقد تحالفات قوية مع القوى المحلية ؛ بهدف تحقيق الاستقرار الاداري والمالي ولتخفيف الاحتكاكات بين المغول الايلخانيين والسكان المحليين(٣).

تبين لنا من خلال استعراض دراسات المستشرقين، بأنهم اعتمدوا في تصويرهم لشخص الجويني مستمدة من الروايات الاسلامية الاولية التي كان بعضها متحيزاً بالصراع السياسي، لذلك حلل ونقد بعض المستشرقين تلك الروايات وخاصة قضية الاتهامات التي الصقت به وهي كثيراً ما كانت اشاعات من خصومه ولم نجد لها دليل قوي في المصادر الاولية.

الخلاصة:

درسنا في هذه المقالة اعادة قراءة البحوث التي تناولت شخصية ودور شمس الدين الجويني في الدولة الايلخانية كرئيس للديوان المالي للدولة، واشرافه على الكثير من المؤسسات الادارية تبعاً لكونه الشخص المخلص لهولاكو ولكفاءته الادارية التي لم يكن لها نظير في عصره، ووجدنا بعض الدراسات السابقة قد اهملت دور الدراسات الاستشراقية في التاريخ المغولي لذلك من الضروري مقارنة الدراسات الشرقية والغربية؛ بهدف اعادة الاعتبار لشخصيات اسلامية كالجويني الذي مثل جسراً حديدياً بين الحضارتين الاسلامية والمغولية لا مجرد اداة بيد الغزو المغولي، لذلك انبثقت من هذه المقالة توصيات كان في طليعتها: من الضروري اعادة قراءة دور خواجة شمس الدين الجويني من خلال المصادر الاسلامية الاولية والمراجع الاستشراقية الكلاسيكية والحديثة كدراسة مقارنة.

(1) Ravalde , Esther, The Mongols middle East Continuity and Transformation in II Khanid , (Iran , 2016), p178.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

قائمة المصادر والمراجع

●الزركلي، خير الدين.
١ - الاعلام، ط(دار العلم للملايين، بيروت).
●ياقوت الحموي، شهاب الدين الرومي (ت٦٢٦هـ /١٢٢٩م).
٢ - معجم البلدان، ط(القاهرة، ١٣٢٣هـ /١٩٠٦م).
●عبد الغافر الفارس، اسماعيل (ت٥٢٨هـ).
٣ - السياق، نشر صورته بالاوفسيت فراي ريتشارد، ١٩٦٥م.
●الهمذاني، رشيد الدين فضل الله (ت٧١٨هـ /١٣١٦م).
٤ - جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق واخرون، ط(دار احياء الكتب العربية).
●بارتولد، ف. ف.
٥ - تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، ط (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨١م).
●القزويني، ابو عبد الله زكريا (ت٦٨٢هـ /١٢٨٣م).
٦ - عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط (بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٠م).
●أقبال، عباس.
٧ - تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، تر: عبد الوهاب علوب، مر: حسن التابوذة، ط (ابو ظبي، المجمع الثقافي، ٢٠٠٠م).
●دائرة المعارف الاسلامية، ط(بيروت، دار الشعب، ١٩٣٣م).
●جب، سير هاملتون.
٨ - دراسات في حضارة الاسلام، ط(بيروت، ١٩٦٤م).
●النسوي، شهاب الدين احمد (ت القرن ١٣م).
٩ - سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ط (القاهرة ١٩٥٣م).
●القلقشندي، ابو العباس احمد، (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م).

١٠ - صبح الاعشى في صناعة الانشا، ط (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م).
●تالبوت رايس، تامارا.
١٢ - سلجوقيان در آسياي كهن، رقية بهزادى بزوهشكاه علوم انسانى ومطالعات فرهنكى، (طهران، ١٣٨٩ش).
●المستوفي قزويني، ابي بكر بن حمد بن نصر.
١٣ - نزهة القلوب، ط(تهران، خيابان جمهورى، ١٣٤٢ه).
●حسن، ابراهيم حسن.
١٤ - تاريخ الاسلام، ط(القاهرة، ١٩٦٤م).
●الطائي، سعاد هادي.
١٥ - شمس الدين محمد الجويني دراسة في دوره السياسي والاداري، بحث منشور في منصة أريد، ٢٠٢٠م،
Portal. arid.my.
●موسوعة ويكيبيديا الحرة.
●الصياد، فؤاد عبد المعطي.
١٦ - مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني، ط١ (القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧م).
●خواندمير، غياث الدين (ت ٩٤٢ه/١٥٣٢م).
١٧ - دستور الوزراء، تر: حربي امين سليمان، ط (القاهرة، دار الكتب، ١٩٨٠م).
●شهسواري، زينب و د. محمد حسن فؤاديان.
١٨ - دور الوزراء الايرانيين في مد العلم وتواصل الحضارات وانعكاسه في الشعر الفارسي «دور الخواجة شمس الدين محمد جويني في انشاء دار الشفاء انموذجاً»، بحث منشور: في مجلة كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، آذار، ٢٠٢٥م.
● ابن الفوطي، عبد الرزاق بن احمد الشيباني البغدادي (ت ٧٢٣ه/١٣٢٤م).
١٩ - الحوادث الجامعة، تح: مصطفى جواد، ط (بغداد، ١٣٥١ه).
●خصباك، جعفر حسين.
٢٠ - العراق في عهد المغول الايلخانيين ٦٥٦ - ٧٣٦ه/١٢٥٨ - ١٣٣٥م، الفتح، الادارة،

الاحوال الاقتصادية، الاحوال الاجتماعية، ط (بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٨م).

بروكلمان، كارل.

٢١ - تاريخ الشعوب الاسلامية، تر: نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، ط٦ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٤م).

● Vernadsky, G.

22 - The Mongols and Russia, (London, Oxford University Press , 1953).

20 - The Rise of Chinggis khan and the united Empire 1206 - 1260 , (Cambridge , University Press, 2024).

● Howorth , H.

23 - History of the Mongols from 9th to the 19th century , (London , Longmans green and Co , 1880).

● Ravalde , Esther.

24 - The Mongols middle East Continuity and Transformation in II Khanid , (Iran , 2016).

● Jackson, Peter.

25 - The Mongols and the Islamic world: from Conquest to conversion, (London , 2017).

● J. M. Smith and others.

26 - Gold Money in Mongol of Iran , Journal of the Economic and Social History of the Orient , (London , 1968).